## الخالق استأثر بعلم 5 أشياء

# هل استطاع الانسان إنزال المطر ومعرفة ما في الأرحام؟

***أخبرنا القرآن الكريم في العديد من آياته بأن الله سبحانه وتعالى استأثر بعلم الغيب وأخفى على الإنسان كثيراً من حقائق الكون والخلق، ليظل الإنسان يفكر ويتدبر ويتعظ ويؤمن بأن لهذا الكون الكبير المحكم خالقاً مبدعاً عليماً حكيما رحيماً بعباده . والإنسان مهما بلغ عقله وتطور فكره وتعرف إلى أسرار الكون سيظل عاجزاً عن إدراك الكثير والكثير من حقائق الكون والحياة والأحياء، مؤمناً بأن فوق كل ذي علم عليماً .***

**محمد متولي الشعراوي**

الآية القرآنية التالية تحمل لنا بعض الأمور التي استأثر الله بعلمها علماً شاملاً، يقول سبحانه في سورة لقمان: "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير"، وفي هذه الآية الكريمة أخبرنا الحق سبحانه وتعالى بأنه استأثر بعلم خمسة أشياء هي:

علم الساعة، أي موعد يوم القيامة، وقد ورد تأكيد ذلك في آية أخرى خاطب فيها الخالق رسوله الكريم بقوله: "يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو" .

إنزال المطر، فهو وحده الذي يعلم وقت نزوله وهو وحده القادر على إنزاله .

علم ما في الأرحام من ذكر أو أنثى وغير ذلك مما يخص طبيعة الجنين ومستقبله .

علم ما هو مقدر للإنسان من مكاسب في المستقبل .

علم المكان الذي سيموت فيه الإنسان .

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أن رجلاً من أهل البادية قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "إن امرأتي حبلى فأخبرني ما تلد؟ وبلادنا جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله هذه الآية .

يقول المفسرون: هذه الأمور الخمسة من الأمور التي استأثر الله بها على سبيل العلم اليقيني الشامل المطابق للواقع، ولا مانع من أن يطلع الله تعالى بفضله وكرمه بعض أصفيائه على شيء منها، وليست المغيبات محصورة في هذه الخمسة، بل كل غيب لا يعلمه إلا الله تعالى داخل في ما استأثر الله تعالى بعلمه، وإنما خُصت هذه الخمسة بالذكر لأنها من أهم المغيبات أو لأن السؤال كان عنها .

### نصب على البسطاء

لكن البعض يقول إن بعض هذه المغيبات قد انكشف وأصبح في متناول الإنسان الذي يستطيع الآن أن ينزل الغيث (المطر) وبمقدور الأطباء الآن أن يحددوا نوع المولود: أهو ذكر أم أنثى، بالأجهزة الطبية التي يستخدمونها، وادعى البعض أن الطب الحديث يستطيع أن يحدد موعد وفاة الإنسان، بل يستطيع أن يطيل عمره ببعض الأدوية .

إمام الدعاة الراحل الشيخ محمد متولي الشعراوي، رحمه الله، تصدى للرد على من يزعمون انكشاف هذه المغيبات أو معظمها، وقال: الزعم بانكشاف بعض هذه المغيبات الخمسة هو نوع من الدجل والشعوذة والنصب على البسطاء، فقد حاول بعض العرافين في أمريكا والهند أن يحددوا يوم القيامة وصدقهم كثير من الناس، وفى اليوم الذي حددوه ليوم القيامة خرج كثير من الناس من منازلهم وصعدوا إلى قمم الجبال، وكأن الجبال ستحميهم من قضاء الله وقدره، مع أن الجبال ستنسف عندما تأتى الساعة، وهذا التصرف بالنسبة لغير المؤمنين لم يتغير منذ بدء الخليقة لأنه باطل، والباطل أساليبه محددة . وهكذا يكذب المنجمون، فقد أخبرونا بأن يوم القيامة سيكون عام ٢٠٠٠ ومر هذا العام وأعوام عديدة بعده وحال الدنيا على ما هو عليه، وقال بعضهم إن موعد يوم القيامة عام ٢١١٣ وسوف يمر هذا العام إن شاء الله من دون حدوث شيء، لأن علم يوم القيامة من اختصاص الخالق العليم الخبير وحده .

ويوضح الشيخ الشعراوي أن إخفاء الله تبارك وتعالى موعد الساعة لا يعني أنه جل جلاله قد أخفى موعد اقترابها، فهو سبحانه وتعالى القائل في سورة طه: "إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى"، وقول الحق سبحانه وتعالى: "أكاد أخفيها" معناه أنه لا يخفى كل شيء عنها، ولكن الإخفاء في الموعد فقط، أما اقتراب الساعة وعلاماتها الكبرى والصغرى فأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها في العديد من الأحاديث النبوية الصحيحة .

### افتراء على الله

بعض العلماء والباحثين أكدوا قدرتهم على إنزال المطر، فقال بعضهم: إن السحاب مكون من ذكر وأنثى وأنهما عندما يلتقيان ينزل المطر، واكتشف بعضهم مواد كيماوية إذا لقح بها السحاب أمطر، فهل هذا كشف لعلم اختص الله به نفسه؟

يقول الشيخ الشعراوي: هذا افتراء على الله، سبحانه وتعالى، لأن المطر الذي ينزل من السماء هو عملية كبيرة جداً، لا يستطيع البشر أن يقوم بها مهما بلغ علمه، بل لو اجتمعت البشرية كلها على أن تنزل مطرا في مكان ما أو تمنع المطر من النزول في مكان ما فهي لا تستطيع ولن تستطيع . وعملية المطر لا تبدأ بالسحاب، بل هي تنتهي بالسحاب، فبواسطة أشعة الشمس تتبخر مياه البحر، والله سبحانه وتعالى جعل أربعة أخماس الأرض من البحار والربع الخامس من اليابسة لتتم عملية المطر .

### علم ما في الأرحام

والسؤال المهم هنا: هل معرفة الأطباء نوع الجنين بعد أشهر عدة من الحمل وقبل الولادة بأشهر تعد من قبيل كشف المغيبات التي اختص الله نفسه بها، كما هو مدلول الآية القرآنية الكريمة؟

يقول الشيخ الشعراوي: معنى "ويعلم ما في الأرحام" ليس المقصود منه هل المولود ذكر أم أنثى؟ بل معناه أوسع من ذلك بكثير، لأن الله يعلم من هو أبو المولود، ومن هي أمه، قبل أن يتزوجا، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: "أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير" . ومعنى عبارة "ويعلم ما في الأرحام" كما يوضح شيخنا الراحل واسع جداً، فكلمة "ما" هنا تعني حياة المولود من لحظة ولادته إلى لحظة وفاته، وهل هو شقي أم سعيد؟ طويل أم قصير؟ ما لونه؟ هل هو صحيح أم مريض؟ ما الأمراض التي ستصيبه؟ كم عمره؟ وماذا سيفعل؟ وما الأحداث التي ستقع له والتي ستقع عليه؟ ماذا سيعمل وأي مهنة سيحترفها وأي البلاد سيسافر إليها ومن سيتزوج؟ وما رزقه؟ وهل سيرزق بأولاد أم لا؟

إن كلمة "ما" تعني شريط حياة ذلك الذي لم يخلق بعد في رحم أمه، فأين هذا كله من نوع الجنين أذكر أم أنثى؟ وهناك نقطة مهمة يوضحها الشيخ الشعراوي، وهي أن العلم قد توصل إلى نوع المولود بعد أن خرج من علم الله إلى العلم الدنيوي بكلمة "كن" .

● عالم مصري راحل

## العلم والحكمة والمعنى

**ماهر سقا أميني**

نزوع المادة إلى الاقتصاد في الطاقة والتشكيلات الجمالية والصور الرياضية، وكون الوعي ظاهرة يصعب أو يستحيل تفسيرها فيزيائيا وكيميائيا، ونسبة هذا الوعي إلى كل الموجودات من أبسط الكائنات إلى أعقدها، وفشل الميكانيكية والسببية المغلقة الخارجية في تفسير الكثير من الظواهر الطبيعية والإنسانية، كل ذلك أدى إلى دعوة العلماء إلى صياغة جديدة للقوانين العلمية بحيث تتجاوز الصفة الفيزيائية إلى الطبيعة السيكوفيزيائية، أي السيكولوجية الفيزيائية، بحيث تتوارى المادية الفجة والسببية المغلقة والميكانيك الجامع المانع وراء تفسيرات تنزع إلى اعتبار الوعي والاحتمالية والتنظيم الذكي والغائية، وهكذا يقف العلم على أبواب التسليم بالحكمة الإلهية والإرادة والقدرة المطلقتين، فالمادة الصلبة ليست إلا قشرة لوجود كلي ذكي تظهر فيه الحكمة والعلة والغاية وهي مفاهيم لم يكن لها وجود في النسخة القديمة للعلم، والقانون العلمي ليس مطرداً بحيث يشمل كل الأفراد بصفة ميكانيكية بقدر مايصف الحركة العامة للكل مع نطاق واسع للحرية أو الذاتية على المستوى الفردي .

وبهذا ينجو العلم والفكر البشري من مأزق التفسير المادي الضيق المغرور للظواهر حتى البشرية، وتتجلى الإرادة الإلهية واضحة وراء مفاهيم ينقصها دليل الوحي إلى الإيمان بالله عزوجل، كالعقل الكوني وغيره .

لقد مر زمان كان فيه المشتغلون في العلم يتعاملون مع المقولات الدينية بوصفها لا قيمة لها ولا مكان في خارطة المعرفة الممكنة، ومع أن هذا كان قائماً على اعتباط وتعسف غير منطقيين لأن العلم حتى في نسخته القديمة لم يكن ليستطيع أن يثبت عدم وجود الله إن سلمنا بأنه لا يمكن أن يثبت وجوده، فإن العلم المعاصر أجرى التصحيح المناسب على حركته وحركة الفكر الإنساني، بحيث صار دالاً على وجود صانع حكيم للكون والإنسان، وبسقوط المادية المفرغة من القيمة عادت الغائية والقيم الأخلاقية والجمالية لتحتل مكانها في ترشيد حركة الإنسان .

إن المفهوم الجديد للعلم أعاد (المعنى) إلى حياة الإنسان ليحتل الصدارة مكان (اللذة) و(المنفعة) . فمن المسلم به أن المعنى لا تمكن إضافته إلى المادة وحركتها، إلا من باب المصلحة المقنعة أي الحفاظ على سلامة العضوية، فالعلم القديم كان يستطيع أن يصف (الأمانة) بأنها (خير) من باب أنها تضمن الدفاع عن الكل في وجه الكل، فهي سلوك ذكي يقصد به تنظيم حياة الأفراد بحيث تضمن سلامتهم جميعاً من عدوان أي واحد منهم على غيره، ومن الواضح أن هذا التفسير للأمانة يلغي الخيرية فيها، بمعنى أنه يلغي القيمة في الأمانة، ومن هنا يمكن فهم دعوات بعض المفكرين لإنشاء أخلاق كوكبية قائمة على العلم بنسخته القديمة، حيث ستتحول الأخلاق كلها إلى سلوكات ذكية تكيفية ومنظمة لحياة الناس على الأرض، من دون أي معنى يتصل بالفضيلة، فالوفاء للزوجة مثلاً يفقد معناه الأخلاقي إن كان مجرد ضامن لوفاء الزوجة لزوجها، بمعنى أن الوفاء هنا يتحول إلى تعاقد بين الزوج والزوجة يشترط الوحدانية لحماية الاثنين من مكر بعضهما، ولا يمكن لمثل هذا السلوك أن يكون أخلاقياً، أو أن يشبع الحاجات العاطفية للإنسان، وهذا مجرد مثال على فقدان المعنى في نسخة العلم القديمة مما تجاوزه العلم المعاصر .

ومن الجدير ذكره أن أي معنى ممكن للحياة الإنسانية أو السلوك فيها لابد من أن يكون من مصدر متعال، حتى لا يتم تجاوزه من قبل من يريد، فالمودة والرحمة والسكينة بين الزوجين كما ذكر القرآن الكريم هي معانٍ للحياة الزوجية أرادها الحق سبحانه وتعالى لجميع عباده، ولو أنها مما ارتآه بعض الناس لأنكرها بعضهم الآخر، وقد وجدنا هذا عند البعض في الغرب ممن لم يعد يؤمن بالأسرة من باب الأنانية القائمة على حسابات اللذة والمنفعة .

# رسائل الامتحانات

في نهاية كل عام دراسي تختتم أعمال التدريس بالاختبارات النهائية والتي أصبحت على الأبواب وأصبح المعلمون والطلاب في أهبة الاستعداد للخوض فيها ودخول معركتها، إذ أن الاختبارات تذكرنا في كل عام يوم الامتحان يوم الدين يوم يقوم الناس لله رب العالمين يوم يسأل كل إنسان أربعة أسئلة في ساحة العرض على الله حيث لا وساطات ولا مجاملات ولا غش ولا رشاوى ولا لجان تنتمي إلى قبيلة فلان أو حزب علان ولا قبول لحق القات والدخان، لأن الذي يدير الامتحان في اليوم الآخر هو الله، هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، الذي يشرف على سير الاختبارات هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون.

المسئول على الامتحانات هو الذي يقول: ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين.

الأسئلة الأربعة ليست سرية لا تعرف إلا يوم الامتحان بل هي معلنة أعلن عنها منذ أربعة عشر قرناً وأخبرنا بها الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلّم حيث قال: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به.

فلا بد أن نعد لها الإجابة الصحيحة من اليوم.. أما الاختبارات التي يمر بها أبناؤنا الطلاب في عموم مدارس الجمهورية فالحديث عنها يتضمن ثلاث رسائل:

الرسالة الأولى: موجهة إلى المعلمين صنّاع الأجيال وقدوة الطلاب وقمة الأخلاق قبل أن تضع الأسئلة وتسلمها للتلاميذ اسأل نفسك أيها المعلم أولاً هل أديت الأمانة المناطة بك طوال العام؟ وهل حققت المنهج المقرر؟ وأفهمت الطلاب كل الدروس وغرستها في أذهانهم حتى تختبرهم؟ أم أنك أضعت الوقت وأهملت الدرس والتدريس، واعتكفت في المخيمات بدل الفصول الدراسية وأنهيت عاماً دراسياً اسماً لا منهجاً ولا مضموناً، وكل همّك هو الحصول على المرتب الشهري وإن كان النظام كما يزعم البعض فاسداً إلا أن المرتب من وجهة نظرك حلال زلال، يا سبحان الله ما هذه المفارقات العجيبة؟!

**محمد محمد المعافا**

أما الرسالة الثانية: فهي إلى أولياء الأمور الذين بذلوا الغالي والرخيص من أجل أن يفرحوا بنجاح أبنائهم ويرونهم رجالاً متعلمين عاملين بما تعلّموا، لهم دور بارز في الحياة، لهؤلاء الآباء والأولياء نقول مدّوا أكف الضراعة إلى الله سبحانه وادعوه بكل إخلاص ونية صادقة أن يسهّل الامتحانات وييسّر الاختبارات على الأبناء وأن يطلق ألسنتهم بالأجوبة الصحيحة، فهو القادر وحده أن يجعل العُسر يُسرا والصعب سهلاً، وينبغي أن تهيأ لهم الأجواء المناسبة للمذاكرة ومراجعة الدروس قبل الامتحانات ومن المؤسف أن بعض الآباء يعتمد على المادة فيغري بها بعض لجان الامتحانات لتساعد ولده على الغش والفوز بالنجاح وإن كان لا يعرف شيئاً ولا يفقه المهم أن يحصل على الشهادة.

وليتهم يعلمون أن النجاح لا يعني الشهادات التي نعلقها على جدار الغرف والمحلات، إنما النجاح لمن يترك أثراً في حياته وبعد وفاته على جدار الزمن، النجاح الحقيقي لمن استطاع أن ينقل العلم النظري من الكتاب إلى الواقع العملي، وأن يطبّق ما تعلّمه من المدرسة والجامعة في حياته اليومية، قال صلى الله عليه وآله وسلّم: «ما اكتسب مكاسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى» والشهادات دون علم لا تهدي صاحبها إلى هدى ولا ترده عن ردى.

أما الرسالة الثالثة: فهي إلى أبنائي الطلاب الذين تحمّلوا نتائج الاعتصامات ودفعوا ثمن إضراب المعلمين لهذا العام الدراسي من دروسهم.

أقول لهم اجعلوا نيتكم خالصة لله تعالى واستعينوا به لا وتعجزوا واجتهدوا في المذاكرة والمثابرة واعتبروا هذا نصراً للإسلام بإذن الله تعالى في المستقبل القريب واعتبروا جهودكم في الاختبارات برّاً وإحساناً لوالديكم وبناءً وتأميناً لمستقبلكم المعيشي وتكويناً لأسرة مسلمة وحفظاً لبلدكم ودفاعاً عن وطنكم اليمني السعيد.

ثقوا بالله يا أبنائي الطلاب أن النجاح حليفكم إن تعرّفتم إلى الله في الرخاء يعرفكم في الشدّة وأعانكم على ما أنتم فيه من الكرب والهم والقلق، فاحرصوا على فعل الطاعات وترك المنكرات وحفظ الصلاة والأعمال الصالحات.

إذا ضاقت صدوركم وأغلقت الدنيا أبوابها في وجوهكم أثناء المذاكرة فتوضأوا وصلوا لله ركعتين تطوّعاً فإن قدوتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كان إذا حز به أمر فرغ إلى الصلاة، واجعلوا لذكر الله وقراءة القرآن جزءاً من أوقاتكم ولو بين الأذان والإقامة حتى لا تقسو قلوبكم فتكون كالحجارة أو أشد قسوة.

لا تتهاونوا بالوقت فالدقيقة الواحدة تنفع لذا يجب أن يكون الخروج من البيت والتوجه إلى قاعة الامتحانات قبل بدء الامتحانات لتأخذوا قسطاً من الراحة وتستعدوا جيداً وعلى كل طالب أن يعطي لنفسه رسائل إيجابية بأن الأسئلة سهلة والامتحان يسير وما صعب عليه توجه إلى الله تعالى وقال: اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل إن شئت الحزْن سهلاً، اللهم يا معلم إبراهيم ويا مفهم سليمان فهمني، ولا تفكر في غش لأنك تعلم بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلّم من غشنا فليس منّا.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يسهّل لكم كل عسير وأن يطلق ألسنتكم بالأجوبة الصحيحة، وأن يجعلكم فرحين مسرورين بالفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.